أصوات المعارضة*

أوتشيمورا كانزو (Uchimura Kanzō) و يوسانو أكيكو (Yosano Akiko)

دورون ب. كوهين (Doron B. Cohen)

الكلمات الأساسية

أوتشيمورا كانزو، يوسانو أكيكو، الحرب الروسية اليابانية، المسالمة واللاعنف، الشعر.

المستخلص

كانت الحرب الروسية اليابانية في عام ١٩٠٤م-١٩٠٥م أول خطوة كبيرة في طريق اليابان لتصبح قوة استعمارية في شرق آسيا والمحيط الهادئ وبعد بضعة عقود من خروج اليابان من عزلتها، هزمت إحدى الإمبراطوريات الأوربية مما أكسبها ثقة أكبر في قدراتها، لم يعترض على مطامح اليابان العسكرية والاستعمارية إلا حفنة قليلة من كبار مفكريها الذين تبنى بعضهم موقفاً مسالماً تماماً، كان من بينهم الزعيم المسيحي أوتشيمورا كانزو الذي تبنى بشكل تدريجي الآراء المسالمة الصارمة وعبَّر عنها بكل شجاعة، رغم اعتزازه بتراثه في الساموراي، طبقة المحاربين الأرستوقراطية اليابانية، ومن ناحية أخرى كتبت الشاعرة يوسانو أكيكو قصيدة مشهورة تدين الحرب لكن موقفها كان شخصياً أكثر منه عقائدياً وقد تبدل أثناء السنوات التي أدت إلى الحرب العالمية الثانية. إثر الدمار الذي خلفته تلك الحرب ، ورغم أن تبنت اليابان دستوراً مسالماً، إلا أن الأصوات القوية في داخلها الآن تطالب بتغييره.

١

اليابان اليوم أمة مسالمة تبنَّت دستوراً يحظر عليها حل النزاعات عن طريق الحرب، ولكن، بالطبع، وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية كانت الأمور مختلفة. فلم تحظ فكرة المسالمة أكثر من دعم هامشي في السنين التي سبقت الحرب، رغم أن بذورها الأولى كانت قد وضعت في أواخر القرن التاسع عشر.[1] وأول ما عُبِّر عنها على الملأ كان عشية وأثناء الحرب الروسية اليابانية حين تكلم بعض اليابانيين بصراحة وشجاعة ضد سياسات بلدهم العسكرية. سوف نركز هنا بشكل رئيس على صوتين منها: صوت الزعيم المسيحي أوتشيمورا كانزو الذي أقام

* ورقة قدمت في مؤتمر حول الحرب الروسية اليابانية في الجامعة العبرية في القدس في فبراير/ شباط ٢٠٠٤م.

معارضته على أساس صلب من المبادئ، وصوت الشاعرة يوسانو أكيكو التي عبرت عن مشاعرها الخاصة.

٢

كان أوتشيمورا كانزو أحد كبار المفكرين في عصر ميجي (Meiji) ولا زالت كتاباته تتمتع بأهميتها القصوى، وقبل أن نُمعن النظر في آرائه المسالمة في سياق الحرب الروسية اليابانية سوف نذكر بإيجاز خلفيته الاجتماعية والشخصية.

بعد فترة العزلة الطويلة أعادت اليابان في عصر ميجي فتح أبوابها للعالم الخارجي، وبعد فترة قصيرة جداً فاضت اليابان بالمبتكرات التنكولوجية والعقائدية من كل نوع قد يخطر بالبال. ووصل بعض أشد الأفكار ابتكاراً عبر القناة المسيحية.[2] كان العديد من اليابانيين الذين روّجوا للأفكار الاشتراكية والأفكارالمسالمة وكذلك أفكار الحرية وحقوق الإنسان ومساواة المرأة وغيرها، مسيحيين مؤمنين أو ممن تشربوا التربية المسيحية في نشأتهم الأولى، وقد تخلى بعضهم عن عقيدته في نهاية المطاف وتحول إلى ديانات أخرى أو إلى الاتجاه القومي بل أنكر حقيقة أنه اعتنق المسيحية أصلاً. وبشكل عام اتسمت تلك الفترة بالتبدلات السريعة. ومرَّ الكثير من اليابانيين بفترة من الحماس والإحباط التي لم تعمر سوى بضع سنوات كما في الأفلام السريعة. لكن كان هناك الكثيرون ممن تمسكوا بدياناتهم وناصروها بكل شجاعة وتكبدوا كثيراً من جراء ذلك.

قَدِمت المسيحية اليابان لأول مرة في القرن السادس عشر الميلادي عندما وصل التجار والمبشرون الكاثوليك شواطئها وبدأوا عصراً عرف بـ "القرن المسيحي" أحرزت المسيحية فيه نجاحاً باهراً لكنه لم يستمر مدة طويلة[3] فقد اختارت اليابان في أوائل القرن السابع عشرالميلادي العزلة وتم حظر المسيحية تحت طائلة التهديد بالموت، ولما أعادت اليابان فتح أبوابها بعد منتصف القرن التاسع عشر الميلادي عادت المسيحية إليها مرة أخرى وغرست نفسها بشدة في تربتها.[4]

كان أول من اعتنق المسيحية شباب الساموراي المنحدرون في معظمهم من أسرٍ كانت تفقد حظوتها في فترة نهضة ميجي، عندما تقلد أفراد الساموراي من أسر ساتسوما (Satsuma) وتشوشو (Chōshū) السلطة، واستبعد أفراد الأسر الموالية للحاكن العسكري الشوجون (Shōgun) حاول شباب هذه الأسر أن يحتلوا مركزاً في الحياة عن طريق التعليم الذي كان في معظمه مسيحياً غير رسمي في السنين الأولى وقبل أن يترسخ التنصير المنظم في اليابان وحتى بعد ذلك بقليل، اعتبر العديد من الخبراء الفنيين الذين استخدمتهم الحكومة اليابانية وخصوصاً الأمريكيين منهم أن من واجبهم أن لا يدرِّسوا مواضيع اختصاصهم فقط بل ويربُّوا

طلابهم الشباب على العقيدة المسيحية، فزرعوا فيهم الاعتقاد بأن التربية الغربية الحديثة والثقافة لا تنفصلان عن المسيحية. ودعوا إلى الإيمان الشخصي القائم على الإنجيل والأخلاق الحميدة (Puritan) وليس بالضرورة تلك المتصلة بالكنائس القائمة وهكذا يسَّروا للشباب المتحمس أن يتبنَّى الدين الأجنبي كنظام أخلاقي وأن يجد في العقيدة المسيحية بديلاً عن قيم عالم الساموراي الذي كان يتداعى كلما اشتد ساعد نظام حكم ميجي الجديد.[5]

في السنين الأولى لعصر ميجي لم يصبح الولاء للإمبراطور بعد ذا قيمة مقدسة وبدت الأخلاقيات الجديدة ــ والتي بموجبها يعيش كل شخص لنفسه لا لسيده ــ شراً وخطأ بعد قرون من تربية الساموراي، وملأ الإيمان الجديد بالإله الواحد القدير والمهمة التي رافقته من أجل إصلاح المجتمع في روح المسيحية، الفراغ الروحي في الكثير من أعضاء الساموراي السابقين، وأفسد مجيء البعثات التبشيرية المحترفة التي مثلت عدداً لا حصر له من الكنائس والطوائف والمنظمات المسيحية النجاح السابق بعد أن بدأت بالشقاق أمام معتنقيها المندهشين من الشباب السذَّج.

كان أوتشيمورا كانزو من نتاج الفترة الأولى المتحمسة في ولعها بالمسيحية في اليابان.[6] كان في سن السابعة عندما تسلَّم الإمبراطور ميجي السلطة، كان الابن الأكبر لأسرة متواضعة من الساموراي، كتب في مذكراته عن جده الذي كان جندياً من رأسه إلى أخمص قدمه، وكان يأسف لفترة السلم التي حالت بينه وبين أن يستفيد من تدريبه العسكري، تلقى والده التدريب العسكري كذلك، ولكنه كان باحثا ودارسا بطبعه، كان أوتشيمورا فخوراً بانتمائه للساموراي حتى عندما بلغ الستين من العمر كتب في استمارة البيانات الشخصية التي ملأها للكلية الأمريكية بأن جنسيته هي "ساموراي ياباني" علماً بأن دراسته فيها كانت قبل سنوات عديدة.

أبدى أوتشيمورا مواهب فائقة في سن مبكرة، وتلقى في سن السادسة عشرة منحة حكومية ليدرس في كلية الزراعة الجديدة في سابورو (Sapporo) في جزيرة هوكايدو (Hokkaidō) الشمالية النائية،غير المتطورة، وكانت هذه الكلية قد أسست قبل سنة من وصول أوتشيمورا إليها بمساعدة خبير أمريكي يدعى William Smith Clark الذي أسس قبلها كلية مماثلة في أمهيرست (Amherst) في ولاية ماساتشوستيس (Massachusetts). أقام كلارك في سابورو مدة ثمانية أشهر فقط لكنه خلَّف انطباعاً دائماً لدى تلامذته بل ودخل الفولكلور الياباني بفضل الشعار الذي ينسب له وهو "أيها الأولاد! كونوا طموحين." وما كان يبدو طبيعياً للأذن الغربية كان تجديداً كبيراً لمن نشأ في التقليد الكونفوشي. أقنع كلارك طلابه أن يوقعوا على "عهد المؤمنين بالمسيح" الذي صاغه بنفسه ومارس هؤلاء الطلاب ضغطاً كبيراً على أوتشيمورا وزملائه ليوقعوه أيضاً. أما أوتشيمورا الذي كان فتى جادا جداً، يتهيب عقيدة أسلافه في بوذا وآلهة الشنتو فقد حاول أن يقاومهم لكنه رضخ في النهاية للضغط.

وصف أوتشيمورا في سيرة حياته المؤثرة الأزمات الروحية الخطيرة التي مرَّ بهـا كشـاب دخل في دين جديد، والعملية الطويلة التي أدَّت به في النهاية إلى الإيمان المسـيحي المتـين.[7] انضم هو وزملاؤه إلى النخبة الفكرية في عصر ميجي وحافظوا على الصلات الودية الحميمة بينهم طوال حياتهم. عاش هؤلاء الشباب تجربة دينية اجتماعية فريدة كجماعة صـغيرة مـن المؤمنين ، منعزلة ومستقلة على نمط الجماعة الأولى للمؤمنين المسيحيين.

لم يتخل أوتشيمورا قط عن مبدأ الاستقلال وطورَّ فيما بعد المبدأ المرتبط بـه دائمـاً وهـو موكيوكاي "Mukyōkai" أي المسيحية اللاكنيسة الذي يشير إلى دين قائم على جماعات صغيرة مستقلة تهتدي بالإنجيل والممارسة الدينية الشخصية للمؤمن دون الاعتماد على مؤسسة رسمية.

تخرج أوتشيمورا بدرجة ممتاز ودخل في السلك الحكومي، لكنه مرَّ بسلسلة مـن الأزمـات الشخصية بما فيها أزمة إيمان، فغادر بل هرب فعلاً إلى الولايات المتحدة حيث أقـام لـثلاث سنوات ونصف. درس خلال هذه الفترة في كلية أمهيرست ومرَّ بتطور روحي كبير حدد فيـه إيمانه الثابت بالخلاص المسيحي حصراً، والتزم بالمبادئ التطهرية الصارمة التي رآها مماثلة لمبادئ البوشيدو (Bushidō) في تقاليد الساموراي ، ومثله مثل زميله Nitobe Inazō الذي ألف كتاباً مشهوراً حول الموضوع،[8] أكد تشيمورا على مبادئ الفروسية والأمانة فـي البوشـيدو لا على مظاهرها العسكرية.

لدى عودته إلى اليابان عمل أوتشيمورا لعدة سنوات مدرسا في معاهد مختلفـة، بمـا فيهـا مدرسة داي إتشي كوتو تشوجاكو (Dai Ichi Kōto Chūgakkō) الأعظم مكانة فـي عصـرها والتي تعد الطلاب لجامعة طوكيو. لكن عمله كمدرس في مثل هذه المعاهد انقطع بسبب حادثة كانت من أفظع فضائح عصر ميجي. فعندما نُشر "المرسوم الإمبراطوري حول التعلـيم" عـام ١٨٩١م طُلب من الطلاب والمدرسين أن ينحنوا أمام الختم الإمبراطوري الممهـور بـه، أمـا أوتشيمورا، المخلص لمبادئه المسيحية، فقد حنى رأسه قليلاً، فقام خصـومه بتفجيـر المسـألة وحولوها إلى الطعن في الذات الإمبراطورية، واستغلوها للهجوم على ما يسمى بـ "الـولاء المزدوج" لدى المسيحيين اليابانيين.[9] إثر هذه الحادثة اعتزل أوتشيمورا التدريس، وكرس وقته لتأليف الكتب والمقالات وعمل لفترة صحافيا، وفي السنين الثلاثين الأخيرة من حياتـه نشـر مجلته الشهرية المستقلة "الدراسات الإنجيلية"، وعمل مرشدا روحيا لآلاف من الناس المخلصين من مؤمني موكيوكاي (Mukyōkai) أي المسيحية اللاكنسية.

بمكن القول بأنه إن كان هنالك حالات من "الولاء المزدوج" لدى المسيحيين اليابانيين فلم يكن أوتشيمورا قط واحداً منهم، وبنظرة عابرة يمكن أن يعتبر قومياً يابانياً لإيمانه بأن اليابان لهـا دور فريد وقدرة على ربط الشرق بالغرب وتوحيد الثقافات عن طريق المسيحية والبوشـيدو. وفي عبارات مشهورة كتبها بالإنكليزية وصف حُبَّه اختصارا بالحرفين الأولين مـن كلمتـي:

يسوع واليابان، فبالنسبة له لا يوجد أي تناقض بين هذين الحُبَّين.[10] آمن أوتشيمورا بالوطنية وبين أن الرجل الحقيقي يحب بلده بولع وأنه يجب أن يرسم خطاً فاصلاً بين الوطنية الحقيقة والوطنية المزيفة. ولن تستطيع اليابان أن تفي برسالتها ما لم تتخلص من ميولها العسكرية المتسلطة. وتنبأ من أنها إن لم تفعل ذلك فسوف تعاني من عقاب الرب، وقد اعتاد أوتشيمورا أن يقرأ الكتاب المقدس وكأنه يتكلم عن زمانه هو، لهذا اعتقد أن روسيا بالنسبة لليابان هي مثل ما كانت بابل ليهودا، وأن القيصر كان نبوخذ نصَّر اليوم الآخر، وهذا يعني أن اليابان كانت بحق تحت خطر كبير قادمٍ من روسيا، ولكنه يعني أيضاً بأنها إن لم تتبع مشيئة الله فسوف تمر بنفس محنة يهودا.

غالباً ما كتب أوتشيمورا خلال فترة ما بين الحرب الصينية اليابانية والحرب الروسية اليابانية حول القضايا السياسية والاجتماعية، تلك الفترة التي شهدت فجوة آخذة في الاتساع بين الحكومة، التي روَّجت "للمصالح القومية" حتى على حساب الحقوق المدنية، وبين المعارضة التي قادها المفكرون المتحررون الذين وضعوا الحقوق المدنية في المقام الأول. وبازدياد تطرف المعارضة أصبحت الحكومة أكثر تقييداً. لم يكن أوتشيمورا منخرطاً في السياسة بشكل ناشط لكن مقالاته عالجت طوال ذلك العقد القضايا القائمة بصوت معارض واضح وثابت. وسمعه الجمهور بشكل رئيس بين عامي ١٨٩٧م و ١٩٠٣م حينما كان يكتب لصحيفة يوروزو تشوهو (Yorozu Chōhō) ذات النفوذ الواسع ، وقد أيد نزع التسلح وحرية التعليم وحق الاقتراع وغير ذلك وهاجم بشدة حكومة ميجي التي كان يشير إليها دائماً بحكومة محافظتي ساتسوما و تشوشو (Satsuma - Chōshū) (أي محافظتي كاغوشيما وياماغوتشي ومنهما كان ايتو هيروبومي أول رئيس للوزراء وكذا معظم المسئولين في حكومة ميجي) وقد خاض في مناظرات طويلة مع المختصين في الشؤون العامة، واعتبره البعض اشتراكياً لكنه كان دائماً ينظر للأحداث من منظور الأخلاق المسيحية التي كانت توجه مواقفه في أي مسألة كبيرة كانت أم صغيرة. وأدت به هذه المبادئ أيضاً إلى موقفه المسالم الذي نما خلال تلك الفترة من الزمان، وقد دلت هذه العملية على الصراع الطويل في داخله، بين وطنيته المتأصلة بداخله وعقيدته المسيحية الذي يطبقها بصرامة وغالباً بحرفيَّة ، فبالنسبة لشخص نشأت في عائلة الساموراي وباهتمامه العميق ببلده لا بد أنه كان يصعب عليه أن يدعو للمسالمة الكاملة.

نشر أوتشيمورا في أغسطس/ آب عام ١٨٩٤م أثناء الحرب الصينية اليابانية، مقالة عنوانها[11] "تبرير الحرب الكورية" يدعي فيها أنه لازال هنالك حروب مبررة أخلاقياً وضرب أمثلة على ذلك بحرب جدعون (Gideon) ضد المدينيين (Midianites) وحرب الإغريق ضد الفرس وحرب Gustavus Adolphus ملك السويد ضد الظلم الكاثوليكي. وعلل أن أسباب اليابان في شن الحرب واضحة: لتقنع الصين بالتعاون مع الجماعة الدولية ولتحرر كوريا من حكم

الصين الغاشم، ولكن سرعان ما تبدد الوهم بشكل مؤلم عندما ظهر له أن اليابان كانت تسعى إلى استغلال كوريا لمصلحتها الخاصة، فكتب إلى صديق أمريكي: لقد تحولت "الحرب المبررة أخلاقياً" إلى ما يشبه حرب "القرصنة" ويشعر "النبي" الذي بررها بالخجل.[12] وفي عام ١٨٩٦م كتب سلسلة من المقالات هاجم فيها الحكومة لنفاقها ولأنه بدلاً من مساعدة كوريا زدات من تسليح اليابان استعداداً للحرب القادمة.[13]

باشتداد التوتر بين روسيا واليابان ازداد موقف أوتشيمورا ضد الحرب تصلباً، ففي مقالة كتبها في عام ١٨٩٨م نلاحظ أنه ما زال يرغب بالانتقام لإهانة اليابان ويهدد بـ "تسديد الدين لروسي.ا" لكن بنهاية عام ١٩٠٣م كان يدعو للسلام مهما كلف الثمن، ونال الدعم على موقفه هذا في صفحات يوروزو تشوهو (Yorozu Chōhō) الصحيفة الأكثر نفوذاً في عصرها. لقد أقام أوتشيمورا مسالمته على المبادئ المسيحية بينما أقامها عضوان آخران في إدارة التحرير، Kōtoku Shūsui و Sakai Toshihiko، على المبادئ الاشتراكية الأولى وأبديا معارضتهما للجوء للقوة لنيل مكاسب سياسية، فنشر كوتوكو في ١ مايو/أيار ١٩٠٣م مقالة بعنوان "معارضة فتح العداوات" وفي ١٩ يونيو/حزيران كتب مقالة بعنوان "جنون الحرب،" ونشر أوتشيمورا في نفس الشهر مقالة بعنوان "حول إلغاء الحرب" بيَّن فيها: "أن الحرب لا شيء سوى جريمة واسعة النطاق." عندما قرر ناشر يورزور Kuroiwa Ruiko في عشية الحرب دعم الحكومة استقال الثلاثة من الصحيفة.

أوضح أوتشيمورا رأيه ضد الحرب قبل وبعد استقالته في مقالات مفصلة، وبين أنه لا يمكن أن يكون هناك حرب مبررة أخلاقياً ولو كان ذلك في سبيل الحرية، واستخدم المبدأ المسيحي بإدارة الخد الأيسر وطبَّقه على الدولة، ففي آخر مقالة له في يوروزو كتب بأن على اليابان أن توقف كل الاستعدادات العسكرية على أسس الأخلاق المسيحية مما يشعر روسيا بالخجل ويدفعها لقبول نفس الموقف وهكذا تمنع الحرب، ومن نافلة القول لم يكن هناك أحد يتبنى هذه السياسة. وعندما نشبت الحرب لم يستطع أوتشيمورا أن يخفي انفعاله بأن اليابان كانت حقاً "تسدد الدين". ففي فبراير/شباط من عام ١٩٠٤م كتب لصديق له كان أيضاً مسالماً "استبدت بي وطنيتي القديمة اليوم وأنا أقرأ عن النصر الهائل على البحرية الروسية وصرخت بأعلى صوتي ثلاث مرات: "عاشت الإمبراطورية" ليسمعها كل من بالجوار. يالي من رجل متناقض!"[14]

يمكن أن يرى هذا التناقض لحد ما أيضاً في حقيقة أن أوتشيمورا لم يدعم المعارضين ذوي الضمائر الحية، وعندما همَّ أحد تلامذته توزيع مسودة الاحتجاج ثناه عن عزمه خوفاً من تداعيات ذلك على أسرة الرجل، ولم يعط جواباً واضحاً للمعضلة الأساسية للمسالم الذي يعلم أن مشاركته في الحرب قد تسبب الموت للآخرين، ويبدو أن أوتشيمورا تبنى رأي الساموراي

التقليدي بأن ذهاب الرجل إلى المعركة يعني موته المحتم، وآمن أن موت المسالمين في ساحة الوغى يعتبر تضحية تخدم قضية السلام.

رغم كل التناقضات كان أوتشيمورا صلباً في معارضته للحرب ونشر أثناء الحرب ضد روسيا سلسلة من المقالات في الصحيفة الإنكليزية كوبيه كرونيكل (The Kobe Chronicle) دعم فيها قضية اليابان ولكنه أكد مسؤوليتها تجاه العالم وأدان فكرة الحرب على أساس طبيعي أو تاريخي، بعد نهاية الحرب بفترة وجيزة كتب: "تشن الحرب من أجل الحرب ولم يكن هناك قط حرب من أجل السلام. فالحرب الصينية اليابانية التي شنت باسم السلام في الشرق سببت الحرب الروسية اليابانية الأكبر التي شنت أيضاً من أجل السلام في الشرق. وأعتقد أنها ستؤدي إلى حرب أشد فظاعة من أجل السلام في الشرق مرة أخرى."[15] وهذه ملاحظة واضحة وصحيحة بلا شك.

في جهوده للعثور على حجج ضد الحرب التفت أوتشيمورا أيضاً إلى اليهود، وكتب بالتفصيل عن نجاحهم في البقاء أحياء كأمة موهوبة رغم حقيقة أنهم بلا دولة وبلا جيش وعزا أوتشيمورا بقاءهم لمسالمتهم ولاعتقادهم في الكتاب المقدس وانتظارهم الدائم للمسيح.[16] و بدأ أوتشيمورا نفسه فيما بعد بانتظار عودة المسيح وأثناء الحرب العالمية الأولى صحا من وهم اعتقاده بالتقدم الإنساني والإرادة الطيبة، واعتمد على أمل العودة المرتقب منتظراً إنقاذ العالم على يد "المنقذ" من الدمار الشامل.

ذكرتُ آنفاً استمارة البيانات الشخصية التي ملأها أوتشيمورا عام ١٩٢٠م من أجل مجلس خريجي كلية أمهيرست (Amherst) حين عرَّف نفسه بأنه "ساموراي ياباني" وتقع هذه الوثيقة المحفوظة في أرشيف كلية أمهيرست في أربع صفحات، إحداها مخصصة لسجل حرب الخريج ، في هذه الصفحة كتب أوتشيمورا: "لا تحفظوا سجلاً للحرب مهما كان، حقاً إنني أكره الحرب، وقد كتبتُ وتكلمتُ ضدها عندما دخلتْ اليابان الحرب ضد الروس عام ١٩٠٤م وفيما بعد ضد ألمانيا أيضاً. عارٌ أن يقاتل رجل رجلاً آخر، ولا خير ينجم عن الحرب أبداً."

توفي أوتشيمورا في مارس/آذار عام ١٩٣٠م قبل سنة من غزو اليابان لمنشوريا والتي توقع لها أن تؤدي إلى أكبر الحروب. بعد ثلاثة أشهر توفي أحد كبار تلامذته الشاعر الموهوب Fuji Takeshi الذي تبنى موقفاً أشد مسالمة من معلمه، نشر فوجي قبيل وفاته قصيدة بعنوان "تهدمي" تنبأ فيها بدمار اليابان بلْ تمنى ذلك الدمار كالذي حاق بسادوم مدينة لوط لأنها فاسدة مثلها، وتنبأ بابتلاع اليابان من قبل تمساح من الشرق قاصداً بذلك الولايات المتحدة التي ستكون "عصا الغضب" في يد الرب.[17]

وصف أحد تلامذتهم فوجي بأنه أرميا اليابان (Jeremiah) لأنه تنبأ بالدمار ووصف أوتشيمورا بأنه أشعيا اليابان (Isaiah) لأن نبوءاته كان فيها الأمل أيضا.

كما ذكرنا سابقاً انجذب الكثير من اليابانيين للمسيحية ثم لأفكار مثل الاشتراكية والمسالمة أي اللاعنف ، لكنهم في مرحلة معينة تغيرت قلوبهم أو كما يقول اليابانيون "اهتدوا." فمثلاً مرَّ صديق أوتشيمورا Tokutomi Soho بمثل دربه ، وأصبح محرر المجلة الليبرالية (Kokumin no tomo) والتي تعنى "صديق الشعب" والتي نشر فيها أوتشيمورا بعضاً من مقالاته الشهيرة. لكن توكوتومي تحول من مؤيد للمعارضة ،إلى مناصر شديد للحكومة وأصبح عسكرياً متشددا، بل وأنكر أنه تعمَّد كمسيحي في يوم من الأيام.[18] وقد عاش طويلاً ومُنع بعد الحرب العالمية الثانية من المشاركة في الحياة العامة.

بالطبع كان من الأسلم في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية وأثناءها أن يمشي المرء في ركاب الحكومة لا أن يقوم ضدها، إلا أن أوتشيمورا لم يضطهد بذاته من قبل الحكومة ربما لأنه كان قد انسحب من الساحة القومية في عام ١٩٠٤م وركز اهتمامه على نشاطه الديني، لكن آخرين أمثال زملاء أوتشيمورا السابقين في صحيفة يوروزو قد عانوا كثيراً، وزُجَّ الأشهر فيهم كوتوكو شوسوي في غياهب السجن لنشره ترجمة للبيان الشيوعي في الصحيفة الأسبوعية هئيمين شيمبون (Heimin Shimbum) التي أسسها مع شريكه ساكاي توشيهيوكو. وتحول في السنين التي تلت إلى الفوضوية، رغم أنه لم يكن هنالك أي إثبات بأنه كان يخطط لعمل فعلي فقد ألقي القبض عليه وعلى أصدقائه عام ١٩١٠م وأدين بتهمة التخطيط لاغتيال الإمبراطور ميجي ونفذ الإعدام في اثني عشر شخصاً ومنهم كوتوكو وحبيبته Kanno Suga في يناير/كانون الثاني عام ١٩١١م.

لابد أن نذكر أن أوتشيمورا وأصدقاءه لم يكونوا أول اليابانيين الذين نادوا بالمسالمة واللاعنف إلا أنهم كانوا أول من عبر عن مثل هذه الآراء على الملأ، وقد فعلوا ذلك في سياق الحرب الروسية اليابانية، وقد خلفهم Kitamura Tōkoku صاحب الشخصية المفجعة الذي انتحر وهو في سن السادسة والعشرين عام ١٨٩٤م عشية الحرب الصينية اليابانية، لقد تأثر كيتامورا – الذي عاش حياة فكرية وعاطفية شديدة منذ سن المراهقة، وكان شاعراً وناقداً بارزاً – بالمسيحية وخصوصاً بطائفة الكويكرز (Quakers) الذين قابلهم في طوكيو، آمن بالسلام مهما كلف الثمن وعارض التفرقة والنزعة القومية، أسس عام ١٨٨٩م أول منظمة مسالمة في اليابان (Nihon heiwa kai) لكنه لم يُسمع على الملأ رغم عدد المعجبين به ومنهم الكاتب Kinoshita Naoe الذي كان بالطبع مسيحياً ومسالماً وكان في يوم ما اشتراكياً.

٣

باستعراض الأحداث يعتبر كيتامورا وبعض من مناصريه من رواد عقيدة المسالمة اليابانية، لكنهم كادوا يدخلون في طي النسيان بحلول الحرب الروسية اليابانية.

كانت كل الشخصيات التي ذكرناها حتى الآن من المفكرين، الذين عبروا عن مواقفهم على أسس عقائدية متينة، إما مسيحية أو اشتراكية أو كلاهما، لكن كان هناك صوت آخر يعبر عن معارضته للحرب الروسية اليابانية وسُمع بوضوح ولكنه أتى من اتجاه مغاير تماماً، لقد كان صوت Yosano Akiko أبرز شاعرات الغناء في عصرها، التي نشرت قصيدة رائعة تدين فيها الحرب، واستُشهد بها مرات لا تحصى كمثال رائع على القصيدة المعبرة عن سياسة المسالمة واللاعنف، رغم أنها لم تكن كذلك بأي حال، لم تنشأ القصيدة من موقف عقائدي ما، بل من موقف خاص بل أناني، لكن الخلفية التي نشأت فيها القصيدة وشروحها أعطتها مضامين أوسع.

ولدت أكيكو في ساكاي (Sakai) قرب أوساكا (Osaka) من أسرة عريقة في صنع أنواع الحلوى اليابانية، تأثرت بالشاعر الحديث Yosano Tekkan الذي تزوجته في النهاية، ونالت شهرة ذائعة الصيت لدى نشرها لمجموعتها الشعرية بعنوان "الشعر الأشعث" (Midare gami) عام ١٩٠١م تناولت قصائدها الحب والجنس وتحرير المرأة بطريقة جريئة مبتكرة رغم أنها كُتبت بالأسلوب التقليدي (الكلاسيكي).

نشرت أكيكو قصيدة في أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٠٤م في مجلة ميوجو (Myōjō) التي كانت تحررها وزوجها، ترجو فيها أخاها الأصغر الذي كان في الجيش الياباني يحاصر بورت آرثر (Port Arthur) أن لا يفرط بحياته في الحرب.

أخي ! أبكي من أجلك
لا تفرط بحياتك!
أنت آخر من ولد فينا ..
أنت أحبنا إلى والدينا
هل علموك كيف تمسك السيف ؟
هل دربوك على القتل والعنف؟
هل ربّوك حتى صرت في الرابعة والعشرين
ثم قالو لك : اقتل ومت؟!

أخي ! أنت وارث اسم العائلة
أنت حامل اسم عائلة كريمة في سكاي
أخي !
لا تفرط بحياتك !
ماذا يعني هذا بالنسبة لك

أن تسقط قلعة بورت آرثر أم لا تسقط ؟
أتعجب .. هل تدري
ما إذا كان هذا الأمر في عرف أسرتنا أم لا ؟!

أخي !
لا تفرط بحياتك!
إن فخامة الإمبراطور نفسه
لا يذهب إلى القتال
هل يفكر – صاحب القلب النبيل –
الذي يحمل المشاعر القوية
أن من الشرف أن تسفك دماء إنسان
وأن يموت ميتة حيوان

أخي ! في ساحة الوغى
لا تفرط بحياتك!
فكر في أمك ! التي فقدت أباك
في الخريف المنصرم
كم اشتد عليها الحزن وحيدة في البيت
منذ أن جندت في الحرب !
ورغم أننا نسمع عن السلام
في تلك الإمبراطورية الواسعة
إلا أن شعر رأسها صار أكثر بياضا!

ألم تفكر ذات يوم في عروسك الشابة
التي تقف من خلف الأستار
تبكي في الخفاء
عليك أن تفكر في مشاعر الفتاة الشابة الصغيرة
فلم تقضيا معا سوي أقل من عشرة شهور
قبل أن تفارقها
فهل لها من أحد غيرك

يمكنها أن تعتمد عليه في هذه الحياة؟
أخي !
لا تفرط بحياتك !

تعبر أكيكو في المقطع الأول من القصيدة عن الوضع العاطفي لأخيها كونه الابن الأصغر ولهذا يخصه والداه بالحب، لكنها تتطرق إلى مسألة أخرى إذْ لم يعلمه والداه القتال ولم ينشأ في تقليد عسكري، فما له وللحرب؟ وتتأكد هذه النظرة في المقطع الثاني، فالأسرة تنتمي إلى طبقة التجار وهذا هو التقليد الذي يجب أن يحافظوا عليه، وهذه النظرة إشارة لحقيقة أن في فكرة الدولة القومية يتحد كل المواطنين في مسؤولية مشتركة لكنها لم تخرج إلى حيز الوجود بعد، وتمثل أكيكو في قصيدتها النظام الاجتماعي القديم لعصر توكوغاوا (Tokugawa) حيث انقسم المجتمع فيه إلى طبقات صارمة، فيفترض في الساموراي أن يقاتلوا، أما التجار فليس لهم دور فعال في المعركة، وتعبر أيضاً عن ولائها المحلي: فالأسرة تنحدر من قرية ساكاي التي تنتمي إليها، كان ولاء الشخص في فترة الإقطاع موجهاً إلى الجماعة المحلية وزعمائها لا إلى الفكرة التي لم تتكون بعد عن الأمة، وأكيكو لم تزل تفكر في هذه الحدود القديمة.

تشير أكيكو في المقطع الثالث إلى الإمبراطور الذي أصبح عاملاً بارزاً بعد عودة النظام الإمبراطوري، بل إن جرأتها في الحديث عنه تشير إلى أن الاعتقاد بألوهيته لم تتأصل بعمق بعد، لم يكن لأحد في اليابان أن يتكلم بهذا الشكل في الثلاثينات، وإن فعلوا بادرت الرقابة لقمعهم في الحال، حقاً تتكلم أكيكو عن الإمبراطور باحترام بالغ لكنها تشير بأنه لا يقاتل بشخصه في الحرب وتلمح إلى أنه ربما لا يعرف عواقبها، الأنكى من ذلك، إن عرف حقاً معنى الحرب فمن الخطأ أن يدع أتباعه يموتون كالحيوانات من أجل قضية لا قيمة لها.

تعود أكيكو في المقطع الرابع إلى الوجه العاطفي وتتكلم عن معاناة الأم التي ترملت مؤخراً ثم أخذ ابنها منها، وتحتج أيضاً بأن السياسيين وعدوا بالسلام والأمن باسم الإمبراطور لكن وعودهم كانت هباء، والمقطع الخامس عاطفي مرة أخرى، يصف حزن العروس الشابة التي تبقى بلا حماية إن ضحى زوجها بحياته في الحرب.

لا تعبر قصيدة أكيكو عن أفكار اللاعنف والمسالمة، رغم أنها تعبر عن احتجاجها ضد القتل بلا هوادة، فاحتجاجها الكبير شخصي وخاص، ولا تعني الاعتبارات القومية لها شيئاً، ويبدو أن أكيكو تتوقع من أخيها أن يفر من الجبهة ويعود إلى مكانه الطبيعي خلف الطاولة في حانوت الحلوى القديم في ساكاي، فهل تُلمّح أكيكو بأن على أصدقائه أن يفرّوا كذلك وبهذا يوضع حد للحرب؟ من الصعب الجزم بهذا، والذي يوحي بذلك هو ذكر الإمبراطور والجو العام للخسارة التي لا طائل منها وما يتبع ذلك من ألم، وقد يشير الموقف الشخصي الذي يخاطب العاطفة

البدائية في الولاء للوالدين والأسرة والبيت إلى رفض قبول الحقيقة السياسية الجديدة وتحويل اليابان إلى قوة كبرى قومية بدلاً من تنسيق الإقطاعيات حيث يعلم كل شخص فيها مكانه الطبيعي ويمنح ولاءه لمن هو أقرب إليه.

نشرت القصيدة في ميوجو في ١ أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٠٤م ومن المدهش أن الرقابة أغفلتها في حين أنها قبل ثلاث سنوات منعت المجلة من الصدور لفترة لأنها طبعت نسخة عن صورة أوربية لامرأة عارية، ربما لم تتوقع الحكومة أن صوت امرأة واحدة سيرن صداه بقوة ففضلت أن تتجاهله 19، ولكم هوجمت أكيكو من قبل كتاب عارضوا موقفها وقرعوها على الخيانة والتطاول على الذات الإمبراطورية، رداً على ذلك نشرت أكيكو "رسالة مفتوحة" في نوفمبر/عدد تشرين الثاني لمجلة ميوجو أعلنت فيها بأنها لا تعارض الحرب وتأمل فقط أن تنتهي سريعاً بأقل معاناة ممكنة، القصيدة بالنسبة لها طريقة للتعبير عن المشاعر، وفيها عبرت بكل بساطة عن اهتمامها بأخيها، لكن رسالتها تضمنت أيضاً رفضاً لتمجيد القتل والموت الذي تعكسه الدعاية الحكومية، بينت من خلالها أن الأدب الكلاسيكي الياباني برمته لا يظهر فيه أبداً طلب الموت من أجل الأمة ومن أجل الإمبراطور. في نفس الوقت تؤكد ولاءها وولاء أسرتها للإمبراطور. كان موقفها متكافئاً وأقل ما يقال: هو معارضة عاطفية وغريزية للحرب في حين تنكر الإدعاء بأنها تبنت موقفاً مسالماً بالغاً وتصر على استقلالية الشعر كفن يعبر عن المشاعر وأنه ليس وسيلة سياسية.

شغلت المناقشة حول قصيدة أكيكو الصحافة لعدة أشهر حتى خبت بالتدريج. وكانت معظم الردود عدائية رغم أن عدداً من الكتاب قاموا للدفاع عنها. أثبتت أكيكو بنفسها بأن موقفها المناهض للحرب كان شخصياً لا عقائدياً. نشرت إثر جولتها في الصين عام ١٩٢٨م وحتى وفاتها تقريباً في مايو/أيار عام ١٩٤٢م عدة قصائد قومية في الثناء على حرب اليابان في آسيا. أما قصيدتها "مواطنو اليابان، قصيدة الصباح" التي نشرت في يونيو / حزيران عام ١٩٣٢م فتبدأ بمدح لا لبس فيه لحكم الإمبراطور الإلهي. وفي واحدة من آخر قصائدها شجعت ابنها الذي خدم كضابط في البحرية أن يحارب بشجاعة، إذاً حدث تغير جذري في رؤيتها منذ الزمن الذي توسلت فيه لأخيها بأن لا يحارب، قبل قرابة ثلاثين سنة اقترنت أكيكو تماماً بأسرتها الخاصة، أما الآن فيبدو أنها تبنت الخط الحكومي الذي يعتبر الشعب الياباني أسرة كبيرة واحدة يقودها الإمبراطور الأب الحاني، ونختم بالقول بأن نشر قصيدتها لأخيها هو إظهار للشجاعة والتصميم لكن لا يعزى إلى موقف مسالم كما كان يدَّعي.

رأينا موقفين يعارضان الحرب: عقائدي وشخصي ولم يكن لأحد منهما فرصة كبيرة في تأثير حقيقي على جمهور اليابانيين لا في حينه ولا في العقود التالية، كالمسيحية ذاتها وكالاشتراكية والشيوعية كان تشرُّب المسالمة واللاعنف في اليابان عملية طويلة وصعبة نالت دعم أقلية مخلصة صغيرة جداً، لم يمثل المفكرون المسالمون في اليابان الحديثة الخط التقليدي بل أنواع مختلفة من الهرطقة. كانوا كلهم شخصيات غير عادية لكنهم اعتمدوا على أسس عقائدية مبنية على معارضتهم للغلو الياباني، كان قصدهم من وراء الغلو الياباني استبدال أسس المجتمع الياباني عن طريق تبني وجهة نظر جديدة للإنسانية والعالم، لكن صوتهم كان كمن يصرخ في فلاة وكان تأثيرهم الحقيقي هامشياً.

مع ذلك حظي موقف أوتشيمورا ببعض المناصرين المخلصين وعندما استسلمت أكثرية القيادة المسيحية اليابانية لاملاءات الحكومة في تبني الخط المغالي عشية الحرب العالمية الثانية تمسك قسم من كبار تلاميذ أوتشيمورا بطريقة أستاذهم وكابدوا الأمرين أثناء الحرب. بعد الحرب استردوا اعتبارهم بل قبلتهم المؤسسة لفترة قصيرة، وثبت أن نبوءات أوتشيمورا وفوجي كانت صحيحة: لقد أنذرا أهل بلدهما أن التسلط العسكري سيؤدي إلى دمارهم وهذا ما حدث فعلاً، وبدا أن نصر أوتشيمورا قد تم عندما اعتمدت اليابان دستوراً مسالماً ولكنه كان نصراً محدوداً، فلم يتحقق حلم أوتشيمورا المسيحي ولا بد أن روحه المتطهرة قد صدمت بمادية أهل بلده وما تبعها من فوضى أخلاقية، حتى بخصوص فكرة المسالمة واللاعنف نفسها علينا أن ننتظر ونرى لأي حد ستحافظ اليابان عليها في السنين القادمة أمام أصوات غير قليلة تعارضها. ولا ننفي إمكانية اشتداد هذه الأصوات وإصرارها حتى تعود اليابان إلى أسرة الأمم "السوية" التي تسعى لحل الصراعات بشن الحروب.

الحواشي

1- Bamba Nobuyo & John F. Howes, eds., *Pacifism in Japan* The Christian and Socialist Tradition, Kyoto(1978).
2- Irwin Scheiner, *Christian Converts and Social Protest in Meiji Japan*, Berkeley(1970).
3- C. R. Boxer, The Christian Century in Japan 1549-1650,Berkeley (1967).
4- R. H. Drummond, *A History of Christianity in Japan*, Grand Rapids (1971).
5- John F. Howes, Japanese Christians and American Missionaries, in: Marius B. Jansen, ed., *Changing Japanese Attitude Toward Modernization*, Princeton(1965), 337-368.
6- Carlo Caldarola, *Christianity: The Japanese Way*, Leiden(1979)
7- Uchimura Kanzō, Eibun chosaku zenshu, (1971-72) Vol. 1.
8- Nitobe Inazō, *Bushido The Soul of Japan*, New York(1905).
9- Ozawa Saburo, Uchimura Kanzō fukei jiken, Tokyo(1961).

R. Tsunoda et. Al., *Sources of Japanese Tradition*, Vol. 2, New York(1964). -10
Uchimura Kanzō, *Eibun Chosaku zenshu* (1971-72) Vol. 5, 66-75. -11
Uchimura Kanzō, *Zenshu*(1981-84) Vol. 36, 414. -12
John F. Howes, Kanzō Uchimura on War, The Japan Christian -13 Quarterly, Vol. 24(1985), 2 90-292.
Uchimura kanzō, *Zenshu* (1981-84) Vol. 11, 296. -14
Uchimura Kanzō, *Zenshu* (1981-84) Vol. 37, 10-11. -15
Uchimura Kanzō, *Zenshu* (1981-84) Vol. 13, 404. -16
Doron B. Cohen, Uchimura Kanzō on Jews and Zionism, *The Japanese Christian* -17 *Review*, Vol. 58(1992), 111-120.
Fujii Takeshi, Be Ruined,(Translated by Sato Isao), *The Japan Christian* -18 *Quarterly*, Vol. 31(1965), 191-192.
Richard E. Systma, A Comparative Portrative Portrait of Two Meiji Patriots: -19 Tokutomi and Uchimura, *The Japan Christian Quarterly*, Vol. 43 (1977), 222-230.
Steve Rabson, Yosano Akiko on War: To Give Ones Life or Not A Question of -20 which War, *Journal of the Association of Teachers of Japanese*, Vol. 25 (1991), 45-74.